الباب التاسع

من وصايا حكماء الجاهلية (١)

[١] وصية أكثم بن صيفي لبنيه :

أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي ، كان من حكماء العرب في الجاهلية وأعرفهم بالأنساب ، وكان أكثر الخطباء ضربًا للأمثال ، وإصابة رأي وقوة حُجة ، وهو أحد المعمرين ، حيث عاش طويلاً ، وأدرك الإسلام ، وقصد المدينة المنورة في مئة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق ، ولم يرَ النَّبي ﷺ ، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه ، قال بعض المفسرين : هو المعنيّ بالآية الكريمة : ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [النساء : ١٠٠] ، وله أخبار كثيرة (٢) .

جمع أكثم بن صيفي بنيه قبل موته فقال :

■ **يا بني :** قد أتت عليَّ مئتا سنة ، وإني مزوّدكم من نفسي : عليكم بالبر ، فإنه ينمِّي العدد ، وكفوا ألسنتكم ، فإن مقتل الرجل بين فكَّيه ، إن قول الحق لم يدع لي صديقًا ، وإنه لا ينفع من الجزع التبكِّي ، ولا مما هو واقع التوقي ، وفي طلب المعالي يكون الغرر ، الاقتصاد في السعي أبقى للجمال ، ومن لا يأس على ما فاته ودَّع بدنه (٣) ، ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينه ، التقدم قبل التندم ، أن أصبح عند رأس الأمر أحب إليَّ من أن أصبحَ عند ذنبه ، لم يهلك من مالك ما

---

(١) وصايا وعظات قيلت في آخر الحياة ، زهير محمود الحموي ، دار ابن حزم ، (ط ١ ، ١٩٩٩) .
(٢) الأعلام : (٢ / ٦) ، وجواهر الأدب (٢ / ٢٠) .
(٣) ودَّع بدنه : أراح نفسه .

وعظك ، ويل لعالم أمر من جاهله ، الوحشة ذهاب الأعلام [١] ،ويتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الأحمق والكيِّس ، البطر عند الرخاء حمق ، والجزع عند النازلة آفة التجمل ، ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير ، لا تجيبوا فيما لا تسألون عنه ، ولا تضحكوا مما لا يضحك منه ، تناءوا في الديار لا تباغضوا ، فإن من يجتمع يتقعقع عمده [٢] .

■ ولقد رأيت جبلاً مطلاً تزايله حجارته ، ولقد رأيته أملس ما فيه صدع .

■ ولنعم لهو الحرة المغزل ، وأحمق الحمق الفجور ، وحيلة من لا حيلة له الصبر ، إن كنت نافعي فورّ عني عينك ، إن تعش تر ما لم تر ، قد أقرَّ صامت ، المكاثر كحاطب الليل ، ومن أكثر أسقط ، والسَّرْو الظاهر الرياش ، لا تبولوا على أكمة ، ولا تفشوا سراً إلى أَمَة ، من لم يرجُ إلا ما هو مستوجب له كان قمنا أن يدرك حاجته ، لا تمنعنَّكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه [٣] .

[٢] وصية القلمس لأشراف قومه :

القلمَّس « أمية بن عوف » واسمه جنادة وكنيته « أبو ثمامة » من بني الحارث بن مالك بن كنانة ، آخر من نسأ الشهور في الجاهلية ، والقلمَّس : لقبه ، ومعناه السيد أو الداهية .

وهو من الحكماء ، الوعاظ ، والخطباء قبل الإسلام ، كان يخطب بفناء الكعبة ، وكانت العرب لا تصدر حتى يخطبها ويوصيها [٤] .

قال لهم يومًا : يا معشر العرب ، أطيعوني ترشدوا .

---

(١) الأعلام : العظماء .

(٢) القعقعة : حكاية صوت السلاح والحجارة والرعد .

(٣) المعمرون والوصايا : (١٤) .

(٤) الأعلام (٥ / ٢٠٣) .

قالوا : ما ذاك ؟ .

قال : إنكم قوم تفرَّدتم بآلهة شتَّى ، وإني لأعلم ما الله بكل هذا براضٍ ، وإن كان رب هذه الآلهة ، إنه ليحب أن يُعْبدَ وحده . فنفرت العرب عنه ذلك العام ، ولم يسمعوا له موعظة ، فلما حج من قابع اجتمعوا إليه ، وهم مَزْورّون عنه ، فقال :

■ ما لكم أيها الناس ، كأنكم تخشون مثل مقالتي عامًا أول ، إني والله لو كان الله تعالى أمرني بما قلت لكم ما أعتبتكم ولا استعتبت ، ولكنه رأيٌ مني ، فإذا أبيتم فأنتم أبصر .

■ أوصيكم بخصلتين : الدين والحسب ، فأما الدين فلله ، ومن أعطيتموه عهدًا فأوفوا له ، ومن أعطاكم عهدًا فارعوا عهده حتى تردّوه إليه ، فأما الحسب فبذل النوال .

■ فلما حضرته الوفاة حضره أشراف قومه من كنانة ، ومات بمكة ، فقالوا : قل نسمع ، ومرنا نطع ، وأوصنا نقبل ، وزودنا منك زادًا نذكرك . فقال :

■ أوصيكم بأحسابكم ، فإنها مقدم وافدكم ، وشرفكم في محافلكم وكفاف وجوهكم وغنى معدمكم .

■ وأوصيكم بالسائل إن كان منكم أن يسأل غيركم ، وإن كان من سواكم وتيممكم فلا تخطنه ما رجا فيكم .

■ واستوصوا بذوي أسنانكم خيرًا ، أجملوا في مخاطبتهم وقدموهم أمامكم ، وزينوا بهم مجالسكم .

■ وأوصيكم ببيوت الشرف فيكم ، أقيموا لهم شرفهم ، ولا تنزعوا الرئاسة منهم حتى لا تجدوا لها منهم أهلاً .

OBEIKAN.COM

■ وأوصيكم بالحرب ، إن ظفرتم بقوم فأبقوا فيهم ، فإنه حسب لكم ، ويد عند عدوكم ، فإن من ظفرتم به فهو ظافر بكم لابدّ ، وهو عامل فيكم بما عملتم به فيه ، فلا تقتلن أسيراً ، فإنه ذحل عندكم ، ومصيبة فيكم ، وإنما هو مال من مالكم ، وإن الأسراء تجارة من تجارات العرب ، فلا تسألنَّ أسيركم فوق ما عنده فيموت في أيديكم ، فلا يستأسر بعده أحد بكم ، وأكثروا العتاقة في أسراء العرب ، ودعوا العرب ترجوكم وتستبقيكم .

■ وأوصيكم بالضيف ، فإن كُلاً إذا قال لم يسمع منه حتى يقول الضيف ، فلا يخرجنَّ من عندكم وهو يستطيع أن يقول فيكم .

■ وأوصيكم بالجيران ، فأكرموهم ، فلا تغشوا منازلهم ، وليصحبهم ذوو أسنانكم ، وامنعوا فتيانكم صحابتهم .

■ وأوصيكم بالحفراء خيراً ، فلا تغرّموهم في غُرمكم ، واغرَموا في غُرمهم ، فإنهم عدة لكم ، يعينوكم ماداموا فيكم ، ويتقصونكم إذا ما فارقوكم ، ويعينون عليكم إذا خرجوا من عندكم .

■ وأوصيكم بأيَاماكم خيراً شُدّوا حجبهن ، وانكحوهن أكفاءهن ، وأيسرو الصداق فيما بينكم ، تنفق أيَاماكم ، ويكثر نسلكم ، فإن نكحتم في العرب فاختاروا لكم ذوات العفاف ، والحسان أخلاقًا ، فإنكم لما يكون منهم أحمد من غيركم ، وإنهم راءون فيمن بقي من نسائكم مثل ما رأوا فيمن جاءهم منهن ، وإذا نكحتم الغريبة [١] فأغلوا صداقها ، وتزوجوا في أشراف القوم ، ثم أكرموا مثوى صاحبتهم ما كانت فيكم ، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها مالها ، واصرفوها على أحسن حالاتها ، لا تنقصوها من شيء يكون لها ، فإن كريمة

---

(١) يعني : المرأة من غيركم .

القوم إذا رجعت إليهم قليلاً متاعها ، ظاهرة حاجتها غير راجعة فيكم غيرها .

■ وأوصيكم بالصلة ، فإنها تديم الألفة، وتسرّ الأسرة ، وأحذّركم القطيعة ، فإنها تورث الضغينة، وتفرق الجماعة ، وإياكم والعجلة فإنها رأس السَّفه [١] .

[٣] وصية قيس بن معد يكرب لأولاده :

قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة الكندي القحطاني ، ملك جاهلي يماني ، كان يقلب بالأشجّ ، لأثر شجّ في وجهه ، استمر في ملك حضرموت نحو عشرين عامًا ، مات قتيلاً في إحدى وقائعه مع قبيلة « مراد » [٢] .

أوصى أولاده قبل موته فقال :

■ باسمك اللهم ، احفظوا أدبي يكفكم ، واتبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ويستعلُ أمركم ، إني أكلكم إلى أدبي ، وإن المعنى بكم لغائب .

■ الزموا ما يجمّل ، واقنوا حياءكم ، وأطيعوا ذوي رأيكم ، وأجلُّوا ذوي أسنانكم ، ولا تعطوا الدنية ، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم .

■ وتناصروا تكونوا حمى ، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن محلتكم واحدة .

■ واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة [٣] ، ودعو المكافأة بالشرَّ يحببكم الناس، وعفّوا عن الدناءة وأكرموا أهل الكفاءة ، ولا تواكلوا التراقد والرياسة فيحلّ عطبكم ، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجابًا ، ولا تدابروا أعجاز ما قد أدبرت صدوره ، ولا تقيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم .

■ وألزموا الأناة يفز قدحكم ، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم ، ولا

---

(١) المعمرون والوصايا (١١٠) وما بعدها .
(٢) الأعلام (٥ / ٢٠٨) .
(٣) النائرة : الهائجة

تأخذوا ختلاً ، وخذوا صراحًا ، فهناك عزُّ القرار ، ومنعة الجار ، واظعنوا في الأرض تبلغوا مأمنكم .

■ ولا تعرَّضوا لنمائم النساء ، وإياكم والغدر ، فإنه أحلني دار الغربة ، واعتبروا (١) .

[٤] وصية ذي الإصبع العدواني لابنه « أسيد » :

ذو الأصبع العدواني أحد المعمرين في الجاهلية ، توفي قبل بعثة النَّبي ﷺ ، واسمه حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة ، من بني عدوان ، وكان خطيبًا ، حكيمًا ، شاعرًا ، فارسًا ، له حروب ووقائع وأخبار ، شعره مليء بالحكمة ، والعظة والفخر ، قليل المديح والغزل (٢) .

لقِّب بذي الأصبع لأنّ حيّة نهشت إصبع رجله فقطعها ، ويقال : كانت له إصبع زائدة .

■ لما احتضر ذو الأصبع دعى ابنه أسيدًا فقال له :

■ يا بني : إن أباك قد فنى وهو حيّ ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني :

■ ألِن جانبك لقومك يحبُّوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوَدوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودَّتك صغيرهم .

■ واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع إلى النهضة في الصريح ، فإن لك أجلا لا يعدوك ، وصن

---

(١) المعمرون والوصايا (١٢٥) .
(٢) الأعلام (٢ / ١٧٣) .

وجهك عن مسألة أحد ، فبذلك يتم سؤددك .

■ **ثم أنشأ يقول :**

أأسيد إن مالاً ملكت ... فَسِرْ به سيراً جميلا
آخي الكرام إن استطعت ... إلى إخائهمُ سبيلا
واشربْ بكأسهم وإن ... شربوا به السمَّ الثميلا
أهنِ اللئام ولا تكن ... لإخائهم جملاً ذلولا (١)

[٥] وصية عامر بن الظرب لقومه :

عامر بن الظرب بن عمر بن عياذ العدواني ، أحد المعمرين في الجاهلية ، وهو حيكم ، خطيب ، رئيس وأول من قرعت له العصا ، وكان يقال له : ذو الحلم ، كان إمام مضر ، وحاكمها ، وفارسها ، ممن حرم الخمر في الجاهلية ، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهمًا ، ولا بحكمه حكمًا (٢) .

■ لما كبر عامر بن الظرب وتخوَّف قومه أن يموت اجتمعوا إليه فقالوا له : يا سيدنا وشريفنا ، أوصنا ، فقال :

يا معشر عدوان : كلفتموني تعبا ، إن القلب لم يُخْلق ، ومن لك بأخيك كله! إن كنتم شرفتموني فقد التمست ذلك منكم ، وإني قد أريتكم ذلك من نفسي ، وأني لكم مثلي ! ، افهموا عني ما أقول لكم ، من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، وكان الباطل أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق ، لا تفرحوا بالعلق ولا تشمتوا بالزلة ، وبكل عيش يعيش الفقير ، ومن يُر يومًا يُرَبه ، وأعدّوا لكل أمر قدره ، قبل الرماء تملأ

---

(١) الأغاني (٣/ ٨٩) ، طبعة دار الكتب ، والشعر والشعراء (٢٧٠) .
(٢) الأعلام (٣/ ٢٥٢) .

OBEIKAN.COM

الكنائن ، ومع السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال ، وفيها ذمامة ، فلا تذموا العقوبة ، واليد العُليا معها عافية ، والقَودَ راحة لا عليك ولا لك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إنَّ عليك كما أن لك ، وللكثرة الرعب ، وللصبر الغلبة ، من طلب شيئًا وجده ، وإلا يجده يوشك أن يقع قريبًا منه .

■ **فيا معشر عدوان :** إياكم والشر، فإن له باقية ، وادفعوا الشرّ بالخير يغلبه ، إنه من دفع الشر بالشر رجع الشر عليه ، وليس في الشرّ أسوة ، ومن سبقكم إلى خير فاتبعوا أثره تجدوا فضلاً ، إن خالق الخير والشر وسعهما ، ولكل يد منهما نصيب .

■ **يا معشر عدوان :** إن الأول كفى الآخر ، فمن رأيتموه أصابه شر فإنما أصابه فعله ، فاجتنبوا ذلك الذي فعله ؛ يا معشر عدوان ، إن الشر ميت ، وإنما يأتيه الحي فيصيبه ، ومن اجتنب الشر لم يثب الشر عليه ، يا معشر عدوان ، إن الخير عزوف ألوف ، ولم يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه ولن يرجع إليه حتى يأتيه .

■ **يا معشر عدوان :** ربوا صغيركم ، واعتبروا بالناس، ولا يعتبر الناس بكم ، وخذوا على أيدي سفهائكم تقلل جرائركم ، وإياكم والحسد، فإنه شؤم ونكد ، وإن كل ذي فضل واجد أفضل منه ، ومن بلغ منكم خُطَّة خير فأعينوه ، واطلبوا مثلها ، ورغِّبوه في نيته ، وتنافسوا في طريقته ، ومن قصر فلا يلومن إلا نفسه ، وإني وجدت صدق الحديث طرفًا من الغيب ، فاصدقو تُصدقوا .

■ وإني رأيت للخير طرقًا فسلكتها ، ورأيت للشر طرقًا فاجتنبتها ، وإني والله ما كنت حكيمًا حتى تبعت الحكماء ، وما كنت سيدكم حتى تعبدت لكم ، إن الموعظة لا تنفع إلا عاقلاً ، وإن لك شيء داعيًا ، فأجيبوا إلى الحق ،

OPEIKAN.COM

وادعوا إليه ، وأذعنوا له [١] .

[٦] وصية مالك بن المنذر البجلي لبنيه :

مالك بن المنذر أحد المعمرين في الجاهلية ، كان قد أصاب دماً في قومه ، فخرج هاربًا بأهله حتى أتى بهم بني هلال ، فلما احتضر أوصى بنيه وأمرهم أن يعطوا قومه النصف من حدثه الذي أحدثه فيهم ، وقال :

■ **يا بني :** قد أتت عليَّ ستون ومئة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر ، ولا قنعت نفسي بخلَّة فاجر ، ولا صبوت بابنة عم لي ولا كنَّة [٢] ، ولا طرحت عندي مومسة قناعها ، ولا بحت لصديق لي بسّري ، وإني لعلى دين شعيب النَّبي عليه السلام ، وما عليه أحد من العرب غيري وغير أسد بن خزيمة ، وتميم بن مرّ .

■ فاحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعتي ، إلهكم فاتقوه يكفكم الهمَّ من أموركم ، ويصلح لكم أعمالكم ، وإياكم ومعصيته ، لا يحل بكم الدمار ، وتوحش منكم الديار .

■ **يابني :** كونوا جميعًا ولا تفرقوا ، فتكونوا شيعًا ، فإن موتًا في عز خير من حياة في ذلّ وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباين ، الدهر صرفان، فصرف رخاء ، وصرف بلاء ، واليوم يومان ، فيوم حبرة ويوم عبرة [٣] ، والناس رجلان ، فرجل معك ، ورجل عليك .

■ وزوّجوا الأكفاء ، وليستعملن في طيبهنّ الماء ، وتجنبوا الحمقاء ، فإن ولدها إلى أفن ما يكون ، إنه لا راحة لقاطع [٤] ، وإذا اختلف القوم أمكنوا

---

(١) المعمرون والوصايا (٥٩) .
(٢) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .
(٣) أي : يوم سرور ويوم حزن .
(٤) القاطع : أي قاطع الرحم .

عدوهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ، التفضل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها ، العمل بالسوء يزيل النعماء .

■ وقطيعة الرحم تورث إلمام الهم ، وانتهاك الحرمة تزيل النعمة ، عقوق الوالدين يعقب النكد ، ويمحق العدد ، ويخرب البلد ، النصيحة لا تهجم على الفضيحة، احتمال الحقد يمنع الرفد، لزوم الخطية يعقب البلية، سوء الرعة [١] ، يقطع أسباب المنفعة الضغائن تدعو إلى التباين .

■ **ثم قال :**

أكلت شبابي فأفنيته ... وأمضيت بعد دهور دهوراً
ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا وأصبحت شيخًا كبيراً
قليل الطعام عسير القيام ... قد ترك الدهر قيدي قصيراً
أبيت أراعي نجوم السماء ... أقلب أمري بطونا ظهورا [٢]

[٧] وصية سعد العشيرة لبنيه :

سعد العشيرة ، جدّ جاهلي من قحطان ، سمي بهذا الاسم لأنه كان يركب ومعه أبناؤه ، وأبناء أبنائه ، وهم نحو مئة رجل ، فإذا سئل عنهم قال : هؤلاء عشيرتي [٣] .

لما حضرته الوفاة أوصى بنيه فقال :

■ يا بني ، اتقوا إلهكم بالليل والنهار ، وإياكم وما يدعوا إلى الاعتذار ، دعوا قَفْو [٤] المحصنات ، تسلم لكم الأمهات .

---

(١) الرعة : رعى الحيوانات .
(٢) المعمرون والوصايا : (١٢٣-١٢٥) .
(٣) الأعلام (٣ / ٨٦) .
(٤) القَفْو : القذف بالفجور صريحًا ، وفي الحديث : « **لا حد إلا في القفو المبين** » [رواه أحمد] .

OBEIKAN.COM

- وإياكم والبغي على قومكم تعمر لكم الساحات .
- ودعو المراء والخصام تسلم لكم المروءة والأحلام .
- تحببوا إلى العشائر تهبكم العمائر .
- وجودوا بالنوال تنمُ لكم الأموال .
- وإياكم ونكاح الورهاء [١] ، فإنها أدوأ الداء .
- وأبعدوا من جار السوء داركم ومن قرين الغي مزاركم .
- ودعوا الضغائن ، فإنها تدعو إلى التباين .
- ولا تكونوا لآبائكم ضراراً ، حيّاكم ربّكم ، وسدّد أمركم [٢] .

جمع وترتيب

أبو همام

السيد مراد سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) الورهاء : الحمقاء .

(٢) المعمرون والوصايا (١٢٢) .

OBEIKAN.COM

المراجع

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

المراجع

[١] القرآن الكريم .

[٢] صحيح البخاري .

[٣] صحيح مسلم .

[٤] مسند الإمام أحمد .

[٥] سُنن ابن ماجة .

[٦] سُنن الترمذي .

[٧] معجم الطبراني .

[٨] البداية والنهاية ، لابن كثير .

[٩] تاريخ الخلفاء ، للإمام السيوطي .

[١٠] صفة الصفوة ، لابن الجوزي .

[١١] التبصرة ، لابن الجوزي .

[١٢] بحر الدموع ، لابن الجوزي .

[١٣] المدهش ، لابن الجوزي .

[١٤] الروح ، لابن القيم الجوزية .

[١٥] المحتضرين ، لابن أبي الدنيا .

[١٦] سكب العبرات للموت والقبر والسكرات ، د. سيد حسين العفاني .

[١٧] تلخيص لأحكام الجنائز ، للألباني .

OBEIKAN.COM

[١٨] الموت وسكراته ، مجدي فتحي السيد .

[١٩] كلمات على فراش الموت ، وحيد عبد السلام بالي .

[٢٠] الوصية الشرعية ، منصور أنور عشماوي .

[٢١] ما ينفع الوالدين بعد الوفاة ، مصطفى العدوي .

[٢٢] ألف قصة وقصة ، للإمام القرطبي .

[٢٣] التذكرة ، للإمام القرطبي .

[٢٤] وقفات تربوية مع السيرة النبوية ، أحمد فريد .

[٢٥] سير أعلام النبلاء ، الذهبي .

OBEIKAN.COM